

سلسلة الأصالة والتجديد

من محاضرات سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد عمار الحكيم

كبرياء

منهج وعطاء

٢٠١٣-١٤٣٤

المكتب الإسلامي
لرئاسة المجلس الأعلى الإسلامي العراقي

www.almejlis.org



منهج وعطاء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة

منهج وعطاء

من محاضرات
سماحة حجة الإسلام والمسلمين
السيد عمّار الحكيم

المكتبة الإسلامية
للمجلس الأعلى الإسلامي العراقي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

العنكبوت : ٦٩

صدق الله العلي العظيم



(كربلاء) كتاب ثانٍ نتهجى فيه أبجدية عطاء أُلُها حسينٌ وياؤها حسينٌ، خملت منهجية الخلود فيها متبنيات حفيد لحفيد، من نسل بيت النبوة ﷺ انبثقت سلالة آل الحكيم، ومن هذا البيت المبارك اعتلى منبر الاستشهاد سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد عمار الحكيم.

صدى العطاء ما يزال مدوياً في أرجاء كربلاء الزمان والمكان بل والإنسان، ولوقفة الحكيم على أعتاب هذه الأرجاء ضياءً مشعٌ ينير مدلهمات النفوس التي أضلت سبيل البذل .

رسالة الحياة التي انضوت تحت قبسات (كربلاء) في كتابه الأول لم تزل مفاهيمها تنثال عبراً وعبراً تختلجها الأنفس وتغمض عليها المآقي، أرسلها سماحة السيد عمار الحكيم في محفلات التذكُّر والتذكير واستلمها حسينيون نذروا عقولهم وقلوبهم لمنهج العطاء المعنون بالشهادة.

العطاء بابٌ وجود مفتاحه الإرادة هذا هو الدرس الأبدي الذي عكفت على تعليمه مرجعية الولاء المحمدي ، فالانسلاخ عن خلايا الاستعباد والاستبداد تتطلب طاقة إيمانٍ قوامها صدق الاعتناق وثبوت الانطلاق.

(كربلاء: منهج وعطاء) لوحة وعي رسم خطوطها حكيمٌ وتلوتت بفرشاة عمّار وتأطرت بحُسن موالاة .

تدور القرون ، وتنبثق الآراء ويبقى ضجيج الرفض عاليًا في أفق ظلامية لم تفهم للحق سوى سيف ودرع وسهام ودماء ، كربلاء مفردات نهجٍ عبقتها العطاء وشذاها البقاء ونكهتها الولاء .

توطئة

من محاضرات

سماحة حجّة الإسلام والمسلمين
السّيد عمّار الحكيم



شباب التغيير



شباب التغيير

المحاضرة

المناسبة: مراسيم عزاء محرم الحرام

المكان: مكتب سماحة السيد الحكيم

الزمان: ٢٠١٠/١٢/١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا،
ونبيِّنا سيِّد الأنبياء، والمرسلين حبيبِ إله العالمين؛ أبي القاسم
المصطفى محمَّد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه
المنتجبين الميامين.

السَّلامُ عليك يا أبا عبدِ اللهِ، السَّلامُ عليك يا ابن رسول
الله، السَّلامُ عليك وعلى الأرواح التي حلتْ بفنائك، وأناختْ
برحلك. عليك منَّا جميعاً سلامَ اللهِ أبداً ما بقينا وبقيَ الليلُ،
والنهارُ، ولا جعلهُ اللهُ آخرَ العهدِ منَّا لزيارتِكُم.

السَّلامُ على الحسين، وعلى عليِّ بنِ الحسين، وعلى أولادِ
الحسين، وعلى أصحابِ الحسين؛ الذين بذلوا مهجهم دونَ
الحسين السَّليَّة.

السَّلامُ عليكم أيُّها المؤمنون الحسينيون ورحمة الله وبركاته.

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(١)

في هذه الليلة الشريفة، ليلة الثامن من محرم المنسوبة لسيدنا القاسم بن الحسن عليه وعلى ابائه التحية والسلام^(٢)، البطل اليافع الذي لم يبلغ الحلم، الذي سطر ملحمة مهمة من ملاحم يوم عاشوراء. نقف موقف الإعجاب، والاحترام، والتقدير، والإكبار لهذا الغلام، ولموقفه البطولي، ولنصرته لسيد الشهداء وقضيته العادلة.

نجتمع اليوم على مائدة القاسم بن الحسن، ونترؤد منها دروس الحياة في هذه المدرسة المعطاء، مدرسة الحسين وأهل بيت الحسين، وأصحاب الحسين عليه السلام. من الملفت للنظر في أنصار الحسين عليه السلام هو غلبة الشباب فيهم - ونعني بالأنصار أهل البيت وأصحاب الحسين معاً- فحينما ننظر إلى أعمار الهاشميين من وُلد رسول الله صلى الله عليه وآله من ذرية النبي ممن عاش ظروف النصره للحسين يوم عاشوراء، وأنصار الحسين من غير بني هاشم نجد نسبة الشباب في هؤلاء الأنصار عالية، وهذه قضية تحتاج إلى دراسة وتحليل، لماذا هذه النسبة العالية من الشباب في المشاركة في نصره الحسين عليه السلام وفي الوقوف معه عليه السلام ؟

ما وراء اللوحة

لو كانت سمات النصر، وسمات الخروج منتصراً من تلك المعركة ظاهرة على حركة الإمام الحسين في يوم عاشوراء، وحتمية استلامه السلطة والحكم لما كان مستغرباً أن يرافقه عدد كبير من الشباب؛ لأنهم طامحون لأن يكونوا في مواقع الخدمة العامة، ووصولهم إلى فرص في الحياة، فيذهبوا مع الحسين، ويقاتلوا

(١) الكهف/١٣.

(٢) يلاحظ أن هذه النسبة عُرْفية.

معه ، وهذا لا يتقاطع مع إخلاصهم ودوافعهم الشريفة والنبيلة، فَيُسْتَشْهَد مَنْ يُسْتَشْهَد، ويصلُ مَنْ يصلُ إلى مواقع الخدمة بعد خروجه سالماً من تلك المعركة.

لو كانت مظاهر المعركة مظاهر فتح وانتصار عسكري ما كانت الظاهرة مستغربة، ولكنْ وكما ذكرنا في ليالي سَابِقَةَ أَنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومنذ خروجه من المدينة إلى مكة ثم إلى كربلاء كان يتحدث في كل خطبه عن ذهابه إلى الموت، والشهادة، وليس في هذه المعركة توازن بالقوى وتكافؤ مادي، وليس فيها انتصار عسكري آني. مع الْحُسَيْنِ بضع عشرات من الناس، وفي الجانب الآخر عشرات الألوف - ٣٠ ألفاً أو ٧٠ ألفاً أياً كان العدد على اختلاف الروايات الواردة - إذاً لا يوجد توازن وتكافؤ في الفرص، فالمعركة محسومة سلفاً في نتائجها العسكرية المباشرة، وهذا ما شَخَّصه كلُّ المراقبين، عبد الله بن عباس، عبد الله بن الزبير، عبد الله بن جعفر، وغيرهم من الحكماء وذوي العقول والخبرة أخبروا الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بذلك، والأمر لا يحتاج إلى علم معصوم؛ ليرى أَنَّ هذه المعركة لا تولد انتصاراً عسكرياً.

فاذا كان الْحُسَيْنُ مقبلاً على الشهادة ولا يوجد انتصار عسكري آني سريع، لا يوجد استلام حكم، ولا تسلم سلطة ونفوذ وفرص وتعيينات - كما نعتبر اليوم في مصطلحاتنا، ولا توجد حقائب وزارية - فلماذا هؤلاء ذاهبون مع الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قد ننهّمُ موقفَ مَنْ بلغ الستين، أو السبعين، أو الثمانين، فقد قضى عمره وهو مقبل على موت طبيعي، فلماذا لا يكون الموت شهادة في سبيل الله، وتحت راية الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ وكبار السنّ تكون طموحاتهم محدودة لطبيعة أعمارهم، وأوضاعهم وأمالهم، وسقف مطالبهم محدود، قد نعبّرُ أحياناً بتعابير قاسية بـ (أرجلنا في القبر) نتيجة وجود موت طبيعي وسُنَّة الحياة أَنْ يمضي الإنسان، وحينما يجد الشيخُ الكبيرُ الْحُسَيْنَ في حال يستحقُّ النصرَ فأَيُّ فرصة أفضل من

هذه الفرصة؟ وقد قضى ثمانين أو سبعين سنة وتكون خاتمته الشهادة في سبيل الله، ونصرة الحسين عليه السلام.

ولكن كيف نفسّر الدوافع التي دعت هذه النسبة العالية من الشباب لمواكبة الحسين عليه السلام ونصرته في واقعة الطف؟

الشباب إكسير التغيير

هذه قضية تحتاج إلى تحليل وتفسير، ونحن على مائدة القاسم بن الحسن هذا الشاب اليافع، لأبد من استنكار أن الشباب - عادة - يكون تحسّسهم للمظالم وللمعاناة، وللتمييز الطبقي أكثر من الآخرين.

كبار السن قد يتكيّفون ويتأقلمون مع الواقع الذي يعيشونه، كبار السن قد تأخذهم العادة فيميلون إلى الاستقرار والهدوء والابتعاد عن المشاكل، ويبدأ بالتكيف مع طبيعة هذه السلطة وكيفية تعاملها مع المواطنين ومراعاة اليات وسياقات الواقع.

ولكنّ الشباب لديهم نزعة تصحيحية تطويرية تغييرية، الشاب يريد شيئاً جديداً، ويريد أن يحقّق ذاته ويصنع شيئاً لمجتمعه، الشاب لديه هذه النزعة التي أحياناً قد تخرج عن سياقاتها فتتحول إلى تهور، عندما يُقال: إنّ الشاب متهور؛ لأنه يقتحم وليس لديه حسابات كبيرة، بينما كبير السن يتذكر أولاده وأصحابه وأسياطه وممتلكاته قبل أي خطوة يخطوها أو كلمة يتفوه بها، والشاب ليس لديه هذه القيود.

إذاً هذه الحالة طبيعية في كلّ المجتمعات، حضراتكم تجلسون وتستمعون إلى النشرات الخيرية، فأينما ذكرَ اعتصامٌ أو احتجاجٌ أو مطلبٌ أو رايةٌ مرفوعةٌ في أيّ مكانٍ بالعالم تُبثُّ أخباره وسائل الإعلام تجدون أغلب الحضور هم طلاب جامعيون، أو شباب يتحرّكون ويريدون أن يحقّقوا شيئاً لمجتمعاتهم.

إشكالية النظرية والتطبيق

لنُعَدَّ إلى سنة ٦٠ للهجرة في أجواء إحياء واقعة الطف. فمن وفاة رسول الله ﷺ في السنة الحادية عشرة للهجرة النبوية الشريفة، إلى واقعة الطف في صيف سنة ٦١ للهجرة، أي بعد مضي نصف قرن من وفاة رسول الله ﷺ.

ماهي سمات هذه الخمسين سنة والحقبة التاريخية؟

سماتها حضور واضح للطقوس، ومظاهر التدين، والناس تصوم وتصلي وتحج وتزكي، المساجد عامرة، مظاهر الصوم في شهر رمضان واضحة في المجتمع، وحتى أولئك الحكام بالرغم من فسقهم وفجورهم خلف الأبواب المغلقة كما يحدثنا التاريخ ولكنهم كانوا يشاركون المسلمين هذه الشعائر، ويأمّون الجماعة لمرات في اليوم الواحد، وكان الحاكم يقيم الصلاة جماعة؛ لأن هذه القضية تعطيه اعتباراً، والافأولئك الحكام الظالمون لا يبحثون عن قيم ومبادئ، واي خط صاعد يتبناه الحاكم في الظاهر، واي موجة قادمة يركبها ويستغلها، وقد كان الخط الصاعد آنذاك هو التدين، لذلك كان الحكام يأتون ويصلون وبالحدود يعملون، فهذا زنى أو ذاك شرب الخمر تتاله الحدود كما يحدثنا التاريخ بشكل واضح. إذا الأمة كانت ملتزمة والناس لديهم تقيد بالشعائر الدينية، بشعائر الإسلام.

أولئك الشباب كانوا يجرون مقارنة بين ما يسمعونه من الخطباء وما يقرأونه من التراث من آيات قرآنية، وروايات عن رسول الله ﷺ وبين الواقع الذي يعيشه الحكم فكانوا يرون بوناً شاسعاً وفرقاً كبيراً بين النظرية والتطبيق، بين الصورة التي تُحكى من على المنابر عن الإسلام والفهم الإسلامي للحياة والمجتمع وبين الواقع الذي يجده عند الحكام في تلك الفترة.

شاهد الشباب فرقاً كبيراً وازدواجية واضحة، وخلاً كبيراً عند المقارنة، وبالتدرج تكوّن لديهم وعي عقيدي فكري اجتماعي سياسي اقتصادي، وأصبحت

لديهم صورة واضحة عما يريد الإسلام، ويتحدّث عنه، وعن الواقع المعاش الذي يعيشوه في ظل تلك الأنظمة الجائرة التي ترفع شعار الإسلام.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا﴾ (الكهف: من الآية ١٤)

هذا الواقع سبّب ردّ فعلٍ شديدٍ لدى أولئك الشباب المعاصرين للحُسين عليه السلام جعلهم يصلون إلى استنتاج بان الأمور ليست ذاهبة إلى خير، وهي لا تسيّر ضمن السياقات الصحيحة التي أرادها الله سبحانه وتعالى ورسوله، وإنّ الحكم الأموي حكم سيّء يرفع شعارات، ولكنه في مجالات التطبيق والتنفيذ يبتعد كثيراً عن تلك الشعارات.

أصبح لديهم وضوح من أنّ النداء الذي يرفعه الحُسين عليه السلام بالاصلاح نداءً واقعيّ له خلفيات وجذور عميقة، وليست القضية مزایدات على سلطان بين بني هاشم وبني أمية، وليست قضية قبلية أو تنافس على سلطان ومكاسب سياسية، وأنّ هناك ازمة حقيقية، فهذا القرآن يتحدث عن شيء، والصورة التي رسمها رسول الله صلى الله عليه وآله تتحدّث عن الشيء نفسه، ولكن الواقع والسلوكيات تسيّر باتجاه آخر مختلف عن تلك الصورة.

لذلك بدأوا يتعاطفون مع الحُسين عليه السلام، ومع نداء الحُسين وهذا ما يبرّر هذا الحضور والنسبة العالية من الشباب من أنصار الحُسين عليه السلام.

واستمر الركب

استمرت هذه الظاهرة بعد استشهاد الحُسين عليه السلام في كلّ الثورات التي أعقبت نهضة الحُسين من ثورة المختار الثقفي وغيرها، وعندما نحلّلتها وندرسها نرى في كلّ هذه الثورات العنصر الشبابي عنصراً متألقاً وحاضراً بقوة، وهو الأساس، والعماد الذي ارتكزت عليه هذه الثورات.

بين السطور

هؤلاء الشباب الذين وقفوا مع الحسين لم يكونوا من لون واحد وشريحة واحدة، بل كان فيهم من العرب ومن الموالي من غير العرب، وكان فيهم من طبقات اجتماعية متقدمة ميسورة وكان فيهم من الطبقات الاجتماعية العامة، انطلق الشباب من كل هذه الفئات والشرائح مما يؤكد أنّ المسألة لم تكن خاضعة لمزاجية معينة أو لاستحقاقات وتطلعات شريحة معينة.

فالشباب قادمون من أسر ميسورة الحال وفقيرة، ومن العرب والموالي، إذاً هذا التنوع يكشف ان الدافع والباعث لحضور هذه النسبة العالية من الشباب كان باعثاً لا يرتبط بظروف اجتماعية محددة، لذلك كان الشباب من مختلف هذه الطبقات الاجتماعية.

والمشكلة التي شخصوها آنذاك لم تكن مشكلة في الممارسة الدينية الشكلية - كما قلنا- فلم يكن هناك تضيق على ممارسة الطقوس الدينية في ذلك الوقت، بل كان الحكام يتصدرون الناس ويأمنونهم في الصلاة وغيرها من الشعائر. اذن المشكلة لم تكن على خلفيات دينية - طبعاً الدين كان يمارسه الحاكم - وهناك فرصة لإقامة هذه الشعائر بشكل طبيعي، وأحكام الإسلام على المستوى الفردي والعائلي والأسري كانت تطبق، ويلاحق الناس إذا ما خرجوا على الثوابت والالتزامات الشرعية التي تخص الحياة الفردية للإنسان، إذاً كان هناك التزام وضوابط وشعائر إسلامية بشكل طبيعي في ذلك الوقت.

صافرة الإنذار

أين المشكلة وأين حصلت الازدواجية ؟ أين حصلت هذه الخلفية لدى أولئك الشباب ليجدوا ان الواقع ليس كما يهدفون ويسمعون عن رسول الله وعن القرآن الكريم وإرادة السماء.

المشكلة لخصها الحسين عليه السلام نفسه حينما قال:

(ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به وإلى الباطل لا يُتناهى عنه - أو أصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً -)

هذه هي المشكلة، هناك انحراف كشفه الحسين عليه السلام في الأداء الأموي آنذاك، انحراف سياسي، انحراف اقتصادي، انحراف اجتماعي، انحراف ثقافي، انحراف رسالي.

لم تكن القضية ممارسات دينية صرفة والتزامات دينية شكلية، المسألة أعمق من ذلك، هناك مشكلة على هذه الأصعدة في الأداء الأموي مما جعل الحسين عليه السلام يصرخ، وجعل الشباب يتعاطفون ويتفاعلون معه عليه السلام.

مناهج أموية

ماذا كان يمارس الحكم الأموي في هذه المجالات؟ ماهي سياقاته ومنهجه؟ أين يكمن الانحراف الأموي في السياسة والاقتصاد وفي الجوانب الاجتماعية والثقافية والرسالية؟

دكتاتورية الحاكم

كان يمارس الحكم الأموي حالة من الدكتاتورية في الجانب السياسي وفرض الرأي، وكان يمارس الظلم بحق الآخرين، يطارد ويلاحق كل من لا ينسجم معه في الرأي.

كان الولاء لعلّي عليه السلام، وحبّه عليه السلام يُعدُّ جريمة يُلاحق عليها المحب - عليّ الخليفة حتى في منطقتهم - ولكنّ الحاكم كان يُلاحق الناس على حبّ عليّ والشواهد على ذلك كثيرة، فقد قتل اناس على حبّ عليّ كحجر بن عدي الكندي وأمثاله، وما أكثر أولئك الناس الذين تعرضوا للملاحقة والتضييق والقتل ليس بسبب إلا؛ لأنّهم حملوا راية الولاء لعلّي عليه السلام، وما كان لديهم تخطيط لانقلابات،

أو تغيير سلطة وما إلى ذلك، الحب قضية يلاحق العاشق بجرمها. إذاً كان تعامل الأمويين مع الناس تعاملًا استبدادياً مقبلاً. وهؤلاء الشباب كانوا يسمعون الفهم الإسلامي للحريات، ويرون هذا التضيق والملاحقة، عندها بدأوا يشعرون بالفارق الكبير بين النظرية والتطبيق في الجانب السياسي.

الفساد المالي

استشرى ظلم الحكم الأموي وفساده المالي في الجانب الاقتصادي للمجتمع الإسلامي، كانت موارد الحكم المالية ضخمة من الضرائب والإمكانات و زكوات الناس والغنائم التي يحصل عليها الحكم من خلال الحروب، والغلات والضريبة على الغلات، وكل ما كان يدفع أو يقدم فهو ملك للحاكم، وكانت بيوت الأموال - خزينة الدولة - منتعشة وفيها إمكانات كبيرة.

المشكلة لم تكن في الإمكانات المالية، بل كانت في طريقة التصرف بهذا المال، مما أوجد رد فعل لدى أولئك الشباب في عهد بني أمية.

فقد كان المقربون يحصلون على امتيازات كبيرة، ويبقى المحرومون على حرمانهم، يعيشون الحرمان، ولا يحصلون من تلك الامتيازات ومن تلك الإمكانات الكبيرة على شيء يذكر!!

وهذا ما كان يعبر عنه الإمام عليّ عليه السلام في وصفه لهذه الحالة: (اتخذوا مال الله دولا)^(١) ومال الله هنا أموال العامة.

إنّ هذه الضرائب والغنائم هي ممتلكات عامة، اتخذوها دولا- اي لمصالحهم الخاصة- وأنفقوها على أنفسهم وعلى المقربين منهم.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٦/١٥٤

فالواقع الاقتصادي الذي يعيشه المسلمون في العهد الأموي هو تخمة للمقربين وحرمان للآخرين، وهذه الحالة أيضاً كان لتخلقت حالة من الازدواجية شخصها أولئك الشباب الذين يقرأون في القرآن ويسمعون عن سيرة الرسول ﷺ قيماً ومفاهيم ويجدون التطبيقات شيئاً آخر.

التميز الطبقي والعنصري

لقد سُنَّ التمييز الطبقي في الجانب الاجتماعي بأبشع صورته في تلك المرحلة، وصُنّف الناس على طبقات، وعلى مراتب هي:

الطبقة الأولى:

هي البيت الأموي الحاكم ومن هو قريب منه، فكانت الأسرة الأموية تتمتع بامتيازات كبيرة وباهتمام كبير.

الطبقة الثانية:

القريشيون، قبيلة قريش وكل من ينتمي إليها كان يتمتع أيضاً بامتيازات كبرى، حتى ذكر في التاريخ بان (أرض السواد) هي بستان لقريش، ويقصدون بارض السواد العراق، ليس العراق بمعناه الجغرافي والاداري اليوم، بل العراق الذي كان في تلك الحقبة يشمل مناطق واسعة تضمّ ايران أيضاً، لذلك ترون عبید الله بن زياد يُطمع عمر بن سعد بملك الرّي، والرّي منطقة قرب طهران العاصمة الإيرانية اليوم، فالرّي كان تابعة إداريا للكوفة ووالي الكوفة هو من يعين عليها شخصا، فارض السواد هي العراق بذلك المعنى الواسع كانت بستانا لقريش، وتنتقل بعض النصوص التاريخية أنّ إيرادات هذه المنطقة من الزراعة تتجاوز ١١ مليار دينار، والدينار متقال من الذهب في ذلك الحين، فلكم أنّ تتصوروا حجم الإمكانات التي تخصص لقريش وحدها.

الطبقة الثالثة :

هم العرب المقربون من السلطة ، والعرب غير المقربين من البيت الأموي لا يحسب لهم حساب.

الطبقة الرابعة :

هم الموالي من غير العرب.

نظمت هذه الطبقة مع استحقاقات لكل مرتبة من هذه المراتب ولكل طبقة من هذه الطبقات.

وهؤلاء الشباب كانوا يرون أن الإسلام يتحدث عن موازين أخرى في التصنيف مفادها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣) ﴿وَأَمَّنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (السجدة: ١٨) و ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩) و ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٥)، هذه هي الموازين التي فضل الله بها بعض الناس على بعضهم الآخر.

يقرؤون موازين الإسلام وقيمه ويرون المجتمع صنف على طبقية مقبلة، فبدأوا يشعرون بانحراف حقيقي على المستوى الاجتماعي.

الانحلال الثقافي

كان أداء الحكم الأموي على المستوى الثقافي العام وسلوكه مقتبساً من الحكم البيزنطي الروماني.

وكانوا يقلدون الرومان في كيفية تعاملهم وتعاظيهم، فادخلوا الرقص والراقصات والأغاني والكثير من هذه المسائل، ولم يكتفوا بنشرها في الشام بل امتدت إلى الحواضر الأخرى، وصولاً إلى المدينة المنورة، وبرزت ظواهر من هذا النوع حتى في مكة المكرمة.

الفساد الأخلاقي والثقافي والفني والاستغلال غير الصحيح لهذه الأمور من السمات التي كانت في ذلك الوقت، إن الانحطاط الذي أريد اشاعته لقضايا من هذا النوع إنما هو من أجل الابتعاد عن القضايا المصيرية.

وهنا مسألة مهمة جداً فنحن نفرّق بين الفن ونحترم الفن، ونحترم الفن الهادف وندعمه ونسانده ونعمل على اشاعته، فقد تكون هناك مسرحية تجسد مظلومية الحسين لها من التأثير أكثر من كلمات وخطابات يلقيها أمثالي في وصف القضية الحسينية.

الفن محترم ومقدّر والثقافة بمعناها الواسع يجب أن تُصان وتحترم، ويجب أن ندافع عنها، ويجب التفكيك بين ما هو فن وثقافة، وبين الانحطاط الخلقى الذي علينا أن نبتعد عن أجوائه ونحافظ على الفن بهذا الاتجاه.

لبيك لبيك

كان الشباب يلاحظون الانحراف ويلمسوه، فبدأوا بالتفاعل مع نداء الحسين عليه السلام، وشعروا بأن شعار الإصلاح الذي رفعه الحسين، (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أريد أن أمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر) ليس شعاراً سياسياً، وليس شعاراً انتهازياً أو مصلحياً.

هذا شعار حقيقي يعبر عن إرادة جادة في تغيير طبيعة الظروف التي يعيشها المجتمع الإسلامي، والانحرافات التي دبت في جسده، والتي أصبحت تخاطر بالنظرية الإسلامية؛ لأنّ الناس يرون الإسلام من خلال التجربة السائدة آنذاك.

فتى يقال له قاسم

القاسم بن الحسن يمثل الصورة الرائعة لذلك الشاب الذي وقف وتحمل الأعباء وبذل ما بوسعه من أجل نصرة الحسين في هذا المشروع كما فعلها سائر الشباب. كان للقاسم أثر كبير في نفس الحسين عليه السلام، ولذلك حينما جاء ليستأذن الحسين ليخرج للقتال بكى الحسين ولم يستطع أن يتمالك نفسه وهو يرى أن هذا الغلام الذي لم يبلغ الحلم اليوم يخرج إلى ساحة المعركة امام هؤلاء الوحوش، هؤلاء الناس الذين لا عزة ولا كرامة ولا مبادئ لهم. وحينما استشهد القاسم وجاء الحسين إليه وحمله وضع صدره على صدره وحمله إلى الفسطاط الذي كان وضع فيه عليّ الأكبر وأهل البيت كما تروي نصوص ارباب السير والمقاتل.

هنا يوجد تعبير غريب حينما حمله الحسين، الحسين ذلك الرجل المعروف في لياقاته البدنية وفي أوضاعه وخصوصياته الجسمية والقاسم غلام لم يبلغ الحلم والمفروض ان يكون القاسم اقصر طولاً وقامة من الحسين فيرتفع عن الأرض ولكن النصوص تقول أنه عندما وضع عليه السلام صدره على صدره كانت قدما القاسم تتجران على الأرض، فكيف نفسر ذلك؟ هذا يعني أن الحسين تأثر باستشهاد القاسم ومقتله بمستوى أحنى ظهره، وهذا ما يقوله بعض المحققين، هكذا كان تأثير استشهاد القاسم عليه السّلام ووقعه على قلب الحسين عليه السلام.

نسال الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا لاستلهام الدروس والعبر، وأن نستفيد الفائدة الكبرى من شجاعة القاسم ومن تضحية أهل البيت ومن عطاء أنصار الحسين عليهم السّلام في نصرة الحق والحسين، نسال الله ذلك كلّ وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خرية
الرسالة



غربة الرسالة

المحاضرة

المناسبة: مراسيم عزاء محرم الحرام

المكان: مكتب سماحة السيد الحكيم

الزمان: ٢٠١٠/١٢/١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا،
ونبينا سيد الأنبياء، والمرسلين حبيب إله العالمين؛ أبي القاسم
المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه
المنتجبين الميامين.

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله،
السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفضائك، وأناخت برحلك.
عليك منا جميعاً سلام الله أبداً ما بقينا وبقي الليل والنهار، ولا
جعله الله آخر العهد منا لزيارتكم.

السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد
الحسين، وعلى أصحاب الحسين؛ الذين بذلوا مهجهم دون
الحسين عليه السلام.

السلام عليكم أيها المؤمنون الحسينيون ورحمة الله وبركاته.

غربة السبط عليه السلام

تعودنا ان نقف في كل ليلة من هذه الليالي الشريفة نستذكر درسا من دروس مدرسة الحسين عليه السلام، وفي هذه الليلة الشريفة ليلة التاسع من محرم وهي الليلة المنسوبة لعليّ الأكبر (صلوات الله وسلامه عليه)، نستذكر فيها دروساً وعبراً من تلك المدرسة المعطاء لسيد الشهداء.

واحدة من القضايا التي تثير الاستغراب هو الحديث عن غربة الحسين عليه السلام، فقد ورد في العديد من النصوص الاشارة إلى غربة الحسين وهذا ما دارت عليه سنة السلف الصالح في دعواتهم بأن يُقسّموا على الله سبحانه وتعالى بغربة الحسين لقضاء الحوائج.

إنها قضية قد تبدو غريبة شيء ما! ماذا يعني ان الحسين غريب؟

كان الحسين في وطنه مع أهله، ثم انتقل من المدينة متوجها نحو الكوفة وهذه المناطق كلها مناطق يرتادها ويعيشها المسلمون وهو إمام المسلمين، وهي مناطق عربية وهو أيضاً من العرب الأقحاح، وإذا اردنا ان ننظر إلى النسيج الاجتماعي من أهل الحجاز والعراق نجد ان هذه العشائر العربية الأصيلة تمتد في هذه المناطق كلها، وبالتالي فان الحسين انتقل من منطقة إلى أخرى ولكنه لازال بين أهله، علما أنّ الحسين عليه السلام قضى سنوات طويلة في الكوفة مع ابيه أمير المؤمنين علي عليه السلام فلم تكن الكوفة والعراق مكانا بعيدا عن ظروف سيد الشهداء، فلماذا يقال ان الحسين غريب وهو مع أهله والعشائر التي ينتمي إليها وتنتمي إليه؟ فحينما ينتقل الإنسان إلى منطقة يجد قوما غير قومه ولغة غير لغته وديانته غير ديانته وثقافته غير ثقافته، عندها يكون غريبا، لكن حينما ينتقل من منطقة إلى أخرى والناس والظروف واحدة من حيث اللغة والديانة والقومية والثقافة وغير ذلك من السمات فلا يكون غريبا، بل يكون في قومه ووطنه.

لماذا نتحدث عن غربة الحُسين في ما تبدو لأول وهلة سمات الغربة غائبة عن البيئة التي انتقل إليها الحسين ^{عليه السلام}؟

سمات الغريب

ان هذا الموضوع يدعونا لتعمق شيئاً ما في مفهوم الغربة في السمات والأوصاف التي من خلالها يمكن تحديد الغريب عن غيره.

ماهي سمات الغريب؟ وعلى من نطلق صفة الغريب؟

السمة الأولى: الضعف

الغريب منقطع عن الآخرين، لا يعرف الناس ولا يستطيع أن يستنهضهم ويستعين بهم، فإذا سكن الإنسان منطقة لا يعرفه فيها احد يشعر بالغربة والضعف، وفرق بين ان يكون المرء في أهله وعشيرته فإذا تعرض لمكروه تداعى الأهل والأقارب لنصرته، وبين ان يكون غريباً لا يلبي ندائه احد.

السمة الثانية: الحاجة

حينما يتغرب الإنسان يبتعد عن مصادر الثروة والممتلكات التي يمتلكها، مزرعته، بيته، محله، شركته، ولاحظنا حينما هجر العراقيون في ظروف الدكتاتورية خلفوا ورائهم بيوتاً وعمارات وامكانيات، وذهبوا بخفي حنين إلى الغربة والهجرة وعاشوا حالة الحاجة التي يعيشها الغريب حينما يبتعد عن أهله ووطنه.

السمة الثالثة: الشعور بالوحدة

يشعر الغريب الوحدة، وانه ليس له ناصر ومعين، ولا يعرف الناس ولا تعرفه، فيعيش حالة من الغربة وحالة من الحزن، فلا يوجد من يؤنسه ويهتم به ويرعاه، في حين ان الإنسان عندما يكون مع أهله واقاربه واحبته يحدثهم ويسامرهم وإذا حدث له مشكلة ما هناك من يفضي إليه بشجنه وحزنه، لكن الغريب ليس له احد يشاركه حزنه واساه، فقد يعيش حالة من الكابة والألم.

غريب الوطن ومواطن الاغتراب

هذه هي سمات الغريب. وإذا دققنا في هذه السمات نجد ان اي منها لا يرتبط ذاتيا بالجغرافية والموقع والمكان، لذا قد نجد إنسانا في وطنه وهو يعيش الحاجة والوحدة والحزن والكآبة فيبدوا غريبا وهو في وطنه، ونجد إنسانا انتقل إلى مكان آخر فانفتح على آخرين وبني مصالِح وعلاقات معهم وما إلى ذلك، فلا يشعر بالوحدة والضعف، ولا يكون محتاجا، فلا يكون غريبا وإن كان بعيدا عن وطنه. الغربة لا ترتبط بالموقع والجغرافية والمكان، وهي تحدّد من خلال سمات قد تجعل المرء غريبا وهو في وطنه وتجعل الآخر ليس غريبا وهو بعيد عن الوطن.

غربة المشروع

حينما نتحدث عن غربة الحسين عليه السلام علينا أن نستذكر هذا المفهوم حتى نتعرّف على كنه غربته.

كان قلب الحسين عليه السلام رجل المبادئ والثوابت يحترق على المستضعفين، والفقراء والمساكين وعلى الشعب الذي كان يُطحن في تلك الأجواء وفي تلك الظروف الصعبة، فيما ان الجانب الآخر المتمثل بالنهج اليزيدي، كان يعيش حالة الانتهازية والهوس بالدنيا وفي المصالح الضيقة.

كان الحسين غريبا، ولكن غربته لم تكن عن المنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها ويعيش فيها، بل كان غريبا في فكره ونهجه، غريبا في مشروعه، غريبا في الطريق الذي انتهجه والذي قلّ سالكيه.

كان المنهج الأموي منهجاً دكتاتورياً استبدادياً، وكان منهج البحث عن الدنيا ومطامعها هو السائد آنذاك، أما منهج الحسين فقد كان مختلفاً تماماً، فالحسين لا يجد البيئة التي تتسجم وتتفاعل مع ثوابته ومبادئه ومشروعه في الإصلاح (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله)

كان منهج الحُسين هو البحث عن الكرامة الإنسانية، والبحث عن الفرص المتكافئة بين الناس، والعدل، والانصاف، والعدالة الاجتماعية، أين هذا المنهج من ذلك المنهج اليزيدي المنحرف الذي كان سائداً آنذاك؟

فحينما نتحدث عن غربة الحُسين فإننا لا نتحدث عن غربة جغرافية والمحيط الذي كان يسكن فيه والذي انتقل إليه، إنّما نتحدث عن غربة الفكر والمنهج والثوابت والاسس والمنهج والرؤية التي كانت للحُسين عليه السلام تجاه المجتمع وعملية البناء، ولذلك يقف عليه السلام ويتحدث عن قلة الناصر (الا من ناصر ينصرنا الا من معين يعيننا)، يطلب الحُسين عليه السلام النصر؛ لأنّ هذا المنهج قلّ سالكوه فيطلب له العون، وان هذه الثوابت لا يمكن ان تشق طريقها في ذلك المجتمع الا بعزم وإرادة وجهد، ولم يكن الحُسين يجد أيّاً من هذه الأمور موجوداً في ذلك المجتمع، لذلك بقي الحُسين غريباً بمشروعه وثوابته والمفاهيم التي طرحها، وهذا ما يؤكده أيضاً ارباب السير والمقاتل حينما يروون مقتل أبي عبد الله الحُسين وصحبه في عاشوراء فنجد ان الحُسين حينما يخرج ويخطب بالناس ويؤكد هذه الثوابت ويذكر الناس بهذه الشعارات والأولويات المهمة، ينبري إليه الشمر على نحو المثال يقاطعه ويقول: (لقد أبرمتنا بكلامك يا ابن فاطمة لا ندري ما تقول) الشمر لا يدري، الشمريون^(١) لا يعرفون ولا يعلمون ماذا يريد الحُسين عليه السلام، هذه المفاهيم التي كان يطرحها الحُسين غريبة عنهم وهم غرباء عن الحُسين وفكر الحُسين عليه السلام، هذه الغربة لم تحصل للحُسين حينما ذهب إلى كربلاء والعراق بل كان غريباً وهو في المدينة مسقط راسه فقد كان يعلن وي طرح ويتحدث ويبشر بهذه الثوابت والمبادئ، والناس من حوله لم يكونوا يدرون ماذا يقول.

(١) تضبط النسبة إلى شعر (لغنه الله) شعري بكسر الشين، إذ ضبط اسمه بالكسر، وشعري بفتح الشين، وإسكان الميم إذا ضبط اسمه بفتح الشين.

غريب ورث الغربية من أبيه

لم تكن هذه الغربية غربة تخصّه وحده، وإنما توارثها عن أمير المؤمنين عليّ السليّ، فقد هو أيضاً يشعر هذه الغربية، لاحظوا ما ورد في الخطبة ١٩١ لعليّ السليّ في نهج البلاغة (اضرب بطرفك حيثما شئت من الناس - انظر إلى اي واحد من الناس تلتفت يمينا وشمالا لن ترى مؤمنين بهذا النهج والفكر - فهل تبصر إلا فقيرا يكابد فقرا - خذ عينة عشوائية ستري أناساً فقراء ومحرومين - أو غني بدلّ نعمة الله كفرا - اما محروما أو فقيرا يعيش في فقره وحرمانه أو غني اخذته الدنيا وحولته إلى إنسان كافر باستحقاقاته والتزاماته تجاه الفقراء فلا يفكر إلا بنفسه - أو بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا - أو بخيلا لا يعطي من نفسه ولا يتحمل مسؤولياته تجاه الله والناس - أو متمردا كان بإذنه عن سمع المواعظ وقرا - أو ترى متمردين لا يريدون سماع الكلام الصحيح، متمرد لا يريد أن يسمع العظة، لا يريد أن يقبل المفاهيم والأفكار الصحيحة - أين أخياركم وصلحاءكم؟ - يحترق قلب علي بن أبي طالب، فيصرخ أين الأخيار والصلحاء والشرفاء؟ - وأين أحراركم وسمحاتكم؟ وأين المتورعون في مكاسبهم؟ - أين هم الناس الذين يعملون بالمقاييس الصحيحة؟ - والمتزهون في مذهبهم - وهم من يختارون رؤية تمكنهم من امتلاك تصور معين أو مذهب اجتماعي يتعاملون بمقتضاه، ويقبلون للآخر الاختلاف معهم في التفاصيل - وهل خلقتم الا في حثالة - يعبر عن تلك الظاهرة الاجتماعية والناس الذين لا يرقون إلى مستوى الإنسانية الرائع الا بذهمهم - حينما يذكرون لا يذكرون الا بسوء، وليس فيهم حسن يذكرون فيه، استصغارا لقدرهم - اي ليس لديهم قيمة لحديثهم ووعدهم والتزاماتهم - وذهابا عن ذكرهم، فانا لله وانا إليه راجعون، انظر مستوى الحرقة عند عليّ السليّ، ظهر الفساد فلا منكر مغير ولا زاجر مزدجر - لا توجد حالات انصياع واستجابة لهذه النداءات - وبهذا تريدون أن تجاوروا الله

في دار حقه - تريدون العزة والكرامة يجب ان تكونوا مع الله، فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين - لا يخدع الله عن جنته ولا تنال مرضاته الا بطاعته - لا تذهب يميناً أو يساراً، وتريد ان تمرر افكارك ونواياك الغير صالحة على الله!!! الله لا تضيع عليه الأمور، فإذا اردت مرضاته عليك بالطاعة والالتزام، عليك باعتماد النهج الصحيح الأصيل - لعن الله الامرين بالمعروف التاركين له - من يأمر بالمعروف ويأتي بالكلام الصحيح ولكن لا يعمل به يلعنهم الله في هذه الرواية والخطبة - لعن الله الامرين بالمعروف والتاركين له والناهين عن المنكر والعاملين به - عندما تأمر بالمعروف، وتتهى عن المنكر وتعمل به ستخاطر بإعطاء صورة مشوهه عن الدين والقيم وعن المبادئ وهذا هو اخطر ما يكون.

اذن عليؑ أيضاً كان غريباً والحسينؑ كان غريباً وهذه الغربة هي غربة الفكر والمنهج.

وطن الحرية والحقوق

الحديث عن هذه الغربة يدفعنا إلى الحديث عن الوطن؟ ما هو الوطن؟ وعلى ماذا يطلق الوطن؟ هل الوطن هو المكان الذي نولد فيه ونعيش فيه ونموت وندفن فيه؟ هل ان الوطن هو المكان الذي يمنحنا شهادة الجنسية؟ هل إنّ الوطن هو المكان الذي لدينا فيه قبور كثيرة لأقاربنا وأسلافنا؟ هل إنّ الوطن هو المكان الذي نتنقل فيه من مكان إلى آخر فيه دون الحاجة إلى تأشيرة ؟ هل يحصر الوطن بالجغرافية والحدود والموقع؟ إذا كان عندك شهادة جنسية لبلد ما، أو كان المكان مسقط رأسك وبه قبور أجدادك وأسلافك، ولكنك تجوع ولا تحصل على الخبز ولقمة العيش، تعرّى ولا تحصل على كسوة تكسوك، تمرض ولا تحصل على فرصة لعلاج، ينهدم بيتك ولا تحصل على اعادة بناء لهذا البيت، ولا تحصل على الحرية والكرامة، ولا تحصل على العزة هل يمكن أن تُسمّي ذلك وطناً ؟

كلا وألف كلا.

لا يمكن أن يحصر الوطن ببعد جغرافي، الوطن مفهوم واسع إنما يتحقق حينما تجتمع مجموعة من السمات:

أولها : البعد المكاني :

وهو الموقع والبعد الجغرافي، والمكان الذي يولد فيه الإنسان، ويعيش فيه، ويموت فيه.

ثانيها : البعد السياسي :

ولكن هناك بعداً اجتماعياً لا بد أن يتوفر؛ ليكون الوطن وطناً، إنما يكون الوطن وطناً عندما يستطيع أن يبني الإنسان فيه علاقات إنسانية واجتماعية ويتواصل مع آخرين بحرية، الوطن يكون وطناً إذا توافرت فيه الأبعاد السياسية السليمة، ويمنح الحرية في الاعتقاد والتعبير والمعارضة والمشاركة في صنع القرار، ويحصل الإنسان فيه على الكرامة الإنسانية، والشعور الصادق بالمواطنة، والعدالة الاجتماعية.

ثالثها : البعد الإنساني :

وفيه أيضاً بعد إنساني، يحصل فيه الإنسان على فرصة الحرية والعيش الكريم والكفاف، الوطن يجب أن يوفر المستويات المعقولة من الخدمة والرعاية لمواطنيه.

رابعها : البعد النفسي، والروحي :

الوطن هو الموقع الذي يحقق الإنسان فيه ذاته الفردية والاجتماعية، الوطن هو الموقع الذي يحصل فيه الإنسان على طموحاته ورغباته المشروعة، فيبدع، ويفكر، ويخطط، ويحلم وينطلق فيه إلى الفضاءات الرحبة.

هذه الأبعاد لا بد من توفرها في موقع ما ليكون الموقع وطناً وإلا يكون الإنسان غريباً فيه كما عاش علي والحسين عليهما السلام غريبان.

غربة تائر

أشدّ حالات الغربة هي غربة الأوطان حينما يكون الإنسان في وطنه ومستقط رأسه ويشعر بالغربة، ولا تتوافر لديه خصائص التعبير عن عزته، وكرامته، وظروفه المعيشية المطلوبة، اما الاحساس بعدم التأقلم الذي قد يشعر فيه الغريب عن أهله لوحده لا يكفي في وصف قساوة الغربة، فهذه حالة يمكن أن تعيشها حتى الحيوانات، ليس الإنسان فقط يستوحش عندما يعيش بين قوم آخرين يختلف معهم في ثقافتهم، ولغتهم، فحيوان تعلم أن يعيش في ظروف البرد مثلا عندما ينقل إلى منطقة حارة قد يمرض أو العكس. المهم غربة الأوطان، غربة الإنسان وهو بين أهله وعشيرته ولا يرى اي تعاطف مع مبادئه وتصوراته لهذه الحياة، واشد حالات غربة الأوطان هي حينما تأخذ الغربة طابعا يشعر الإنسان فيها بالغربة لطموحات خاصة به لا يحققها ورغبات مشروعة لا ينالها، وتشدّد الحالة حينما يكون الإنسان عنده هم المجتمع والأمة ولا يستطيع أن يحقق تلك الطموحات.

هموم حُسينية

كان الحُسين من هذا النوع، ليس لديه أزمة ومشاكل على المستوى الفردي الشخصي الأسري، وكان يمكن له ان يتماشى مع الحكم اليزيدي الجائر ويحصل على ما يريد ويتمنى، لكنّ همّه كان في المجتمع والناس والأمة التي كان يدبّ الانحراف فيها على كل الأصعدة، والتميز الطبقي، والتعامل الاستبدادي، والاستهتار بالقيم والمثل والأخلاق، لم يكن همّ الحُسين شخصياً، شتّان بين مَنْ يحمل همّ الأمة وبين مَنْ يحمل همّ نفسه.

زفير الليل

في مثل هذه الليلة ليلة التاسع من محرم حدثنا التاريخ عن حوار جرى بين الحُسين وعمر بن سعد بعدما أرسل إليه وخرج الحُسين ومعه عشرون وجاء عمر بن

سعد ومعه عشرون، تمّ اللقاء في المنطقة الحرام بين الجيشين أراد الحسين بذلك أن يُقيم الحجة وأن يعطي درساً للبشرية جمعاء في المحاولات الأخيرة. الهدف من اللقاء مع عمر بن سعد أن يطلب منه ترك ذلك الجيش والالتحاق بجيشه عليه السلام:

إذا أردت سعادة الآخرة كن بجانب الحسين وليس الجانب الآخر. بماذا اعتذر عمر بن سعد؟ إنها أعدار غريبة جداً دونها التاريخ: لي بيت في الكوفة أخشى أن يهدمه عمال ابن زياد!!!.

أتقاتل الحسين بن بنت رسول الله، وترسم تلك المجزرة التي لامثيل لها في التاريخ (لا يوم كيومك يا أبا عبد الله) من أجل بيت ؟!!!
أراد الحسين أن يفحّمه فقال: أنا أبنى لك بيتك إذا هُدم.
قال: يا ابا عبد الله لي ضيعة اخاف ان يأخذوها مني - مزرعة في الكوفة يأخذوها!!!

قال الحسين: أنا أعوضك من أموالى بالحجاز مزرعة أفضل منها.
قال: عندي عائلة وعيال بالكوفة أخاف أن يقتلهم عبيد الله بن زياد.
هؤلاء عيال رسول الله، وهمك عيالك فقط ؟! هؤلاء هم أطفال الحسين!!
أراد الحسين من خلال هذا الحوار ان يعطي رساله للإنسانية جمعاء ان هناك فرق شاسع بين من همّه نفسه وبين من همّه الأمة والمجتمع.

وترخص القرابين

لم يكن عند الإمام هم شخصي كعمر بن سعد وعبيد الله بن زياد ويزيد وما أكثر الأسماء، وضحي من أجل ذلك الهمّ الكبير بكل شيء، ومن جملة ما ضحى به عليّ الأكبر، هذا الإنسان العظيم الذي يكفي في وصفه ما ذكره الحسين فيه في أحلك الظروف، حينما خرج عليّ الأكبر إلى الميدان فلم يتمالك الحسين نفسه،

وأرعى عينيه بالدموع ورفع شيبته المقدسة نحو السماء وقال:
 (اللَّهُم اشهد على هؤلاء فقد برز إليهم أشبه الناس برسولك ﷺ خَلْقاً
 وَخُلُقاً ومنطقاً، وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إليه) عليّ الأكبر أشبه الناس
 برسول الله خَلْقاً ، شكلاً ، وَخُلُقاً ، ومنطقاً ، في منطقهِ وفكرهِ ونهجهِ ، هذا كان
 نسخة عن رسول الله ، يقول الحُسَيْنُ: (كَلَّمَا اشتقنا إلى رسول الله نظرنا إلى عليّ
 الأكبر)

كان هذا هو حجم التضحيات، ولم يكن القتال قتال بني امية وهاشم، لا، ولم
 يكن القتال مع الحُسَيْنِ فقط، بل كان قتالاً كان مع الله، مع رسول الله ﷺ ، مع
 عليّ السَّلَاطِينِ ؛ لَأَنَّ هؤلاء هم من يحملون المشروع الإيماني على الأرض.

هذه كانت معركة مع السماء والقيم والمثل التي حملها رسول الله ﷺ إلى
 هذه الأمة، فسلامٌ عليه يوم وُلِدَ ويوم ضحَّى وقُدِّمَ للإسلام والإنسانية، ويوم سقط
 صريعاً وشهيداً في سبيل الله، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي، ولكم،
 والسلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته

لا أُعطيكم
بيدي إعطاء
الذليل



لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل

المحاضرة

المناسبة: مراسيم عزاء محرم الحرام
 المكان: مكتب سماحة السيد الحكيم
 الزمان: ١٦-١٢-٢٠١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا ، ونبينا
 سيِّد الأنبياء ، والمرسلين حبيبِ إله العالمين ؛ أبي القاسم المصطفى
 محمَّد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين
 الميامين .

السَّلام عليك يا أبا عبدِ اللهِ، السَّلام عليك يا ابن رسولِ اللهِ،
 السَّلام عليك وعلى الأرواح التي حلَّت بفنائك، وأناخت برحلك.
 عليك منَّا جميعاً سلامَ اللهِ أبداً ما بقينا وبقِيَ الليلُ، والنهارُ، ولا
 جعلهُ اللهُ آخرَ العهدِ منَّا لزيارتِكُم.

السَّلام على الحسين، وعلى عليِّ بن الحسين ، وعلى أولادِ
 الحسين ، وعلى أصحابِ الحسين ؛ الذين بذلوا مهجهم دونَ الحسين
 عليه السَّلام .

السَّلامُ عليكم أيُّها المؤمنون الحسينيون ، ورحمةُ اللهِ وبركاته .

كربلاءُ الأَمس ، وبغدادُ اليوم

في هذه الليلة الأليمة الحزينة ليلة العاشر من محرّم، نقفُ عند درسٍ آخرٍ من دروسِ الحسينِ، ونستذكر تلك الملمحة العظيمة، وتلك البطولات التي لاحظناها في مثل هذه الليلة وفي يوم عاشوراء.

وقف الحسينُ مدافعاً عن مشروعه الإنساني واصطفً معه المدافعون عن الحقّ من مسلمين، ومسيحيين. نعرفُ أنّه كان هناك مسيحيون وقفوا، وقاتلوا مع الحسينِ ^{عليه السلام}، واستشهدوا معه؛ لأنّ مشروعه كان مشروعاً إنسانياً، كان يبحث عن حياة عادلة، كان يبحث عن ترسيخ القيم والمبادئ الإنسانية، وهذا ما جسدها في واقعنا المعاش أيضاً، فالمسلمون والمسيحيون يقفون صفّاً واحداً للدفاع عن بلدهم، ومشروعهم ووطنهم، عن أمنهم، عن مستقبلهم، ويضحون معاً، وامتزجت دماثنا، وقدمنا التضحيات المشتركة من أجل هذا الوطن، وتلك القيم النبيلة التي نصطفُ جميعاً خلفها، ونعمل لترسيخها.

واليوم لدينا ضيوفُ أعزاء من كنيسة سيّدة النجاة وعدد من الكهنة الأكارم ومن المؤمنين المشاركين في هذه الكنيسة جاءوا ليشاركونا حزننا، ولمواساتنا بسيّد الشهداء، والاصطفاف مع قضيته العادلة، وكلّنا قد فجعنا بجريمة كنيسة سيّدة النجاة وبسقوط العشرات من الشهداء والجرحى في ذلك التفجير المروّع، إنّ الأهداف التي ينشدها أولئك الظلاميون هي الأهداف التي لأجل تحقيقها اصطفُ قتلة الحسينِ لتنفيذها.

حتمية الصراع

حينما نقول " كلّ يوم عاشوراء ، وكلّ أرض كربلاء " إنّما نعني أنّ الصراع بين الحقّ والباطل والصراع بين الخير والشر والصراع بين الظلمة والنور صراع يتجدّد في كلّ زمان وكلّ مكان، قد تختلف الصورة ، أو تختلف الأسماء ولكنّ الجوهر يبقى، هو الصراع ذاته.

ليل العاشقين

ليلة عاشوراء كانت ليلة مصارحة، ليلة مكاشفة بين الحسين عليه السلام وبين أهل بيته وأصحابه، أخبرهم بما ستؤول إليه أمورهم من قتلهم بأجمعهم، قتل الرجال وسبي النساء والأطفال، حتى لا يغرر بأحد وطلب من منهم أن يغادر من يشاء ويذهب لينجو بنفسه، ولكنهم أصرّوا على أن يكونوا مع الحسين. كان من المفترض أن تتمّ المعركة في هذه الليلة، ولكنّ الحسين طلب من أولئك الأعداء أن يمهلوهم عشية هذه الليلة.

لماذا ؟

(حتى نصلي لربنا).

أراد الحسين في الساعات الأخيرة قبل أن يدخل هذه المعركة وينتقل إلى ربه أن يقضي ساعات في العبادة والصلاة والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى. إنها رسالة تعبر عن صدقية الحركة، تعبر عن الدوافع النزيهة الشريفة التي كانت لسيد الشهداء في هذه الثورة، كان ذكر الله حاضرا، القيم والمبادئ كانت حاضرة، المثل السامية كانت مستحضرة في تفاصيل هذه الثورة، وهذه أمور مهمة. طلبوا أن يمهلوهم عشية هذه الليلة (حتى نصلي لربنا) دوي صلاة الحسين وأهل بيته وأصحابه كدوي النحل، كان مهللين مكبرين مسبحين ذاكرين لله، قضاوا تلك الليلة بالابتهاال، ثم استعدوا للمنازلة. درس عظيم نستقيه من ليل عاشوراء، إنه مهما كان الإنسان مشغولا بأمور الدنيا وأمور حقة وصالحة وطيبة ومهتما بنفسه وهموم الناس لكنّ هذا لا يغني عن التفرغ للعبادة والانقطاع لله سبحانه وتعالى.

هيات منا الذلة

في كل ليلة نقف عند درس من دروس عاشوراء، وفي هذه الليلة خطر بيالي أن نقف عند درس العزة والكرامة الإنسانية، الكرامة الحسينية.

كان الحسين عليه السلام يولي هذا الموضوع اهتماما خاصا، كيف يظهر بمظهر العزة والقوة والصلابة والشموخ؟ كيف يكرس هذا الانطباع، ويعزز هذا المفهوم؟ أراد الحسين أن يكون عزيزاً في هذه المنازلة هو وأهل بيته وأصحابه، أراد أن تكون العزة سمة الرجال والنساء، سمة الكبار والصغار، سمة الجميع قبل المعركة وحين المعركة وبعد المعركة أن يكونوا اعزاء،

أن تظهر عليهم الصلابة والشموخ في مقابل أرادة العدو الذي كان يطمح أن يهزم أرادتهم بأن يخضعهم ويركعهم يكسر معنوياتهم قبل أن يكسرهم عسكرياً.

صراع الإرادات

كما قلنا كان الحسين يعرف النتائج، إنه خرج ببضع عشرات من الناس وأمامه عشرات الألوف، -ثلاثون ألفاً أو سبعون ألفاً على اختلاف الروايات-، فالمعركة العسكرية محسومة سلفاً، الكلام عن المعركة المعنوية.

هل يستطيع الحسين أن يحافظ على العزة والشموخ والصلابة والثبات والقوة؟ أو يسقط هو وأهل بيته وأصحابه والضعاف من النساء والأطفال في مؤامرة الأعداء لإخضاعهم وإركاعهم؟! وإلا كيف تُفسرون قطع الماء والطعام عن أولئك الأطفال والنساء؟ الكبار يقاوتونكم، ومن يقاوت عددهم قليل وأنتم عشرات الألوف، إذاً في مقابل كل واحد كان هناك ألف من الناس، أولئك لا يخيفون في عددهم، فلماذا يقطع الماء عنهم؟ لماذا هذا الجوع؟ ماهي فلسفة الجوع والعطش لجماعة قليلة محاطة بعشرات الألوف من الجيش والعسكر؟

ليس له معنى سوى محاولة إخضاعهم معنوياً وإذلالهم، أن يطلبوا الاستسلام، وحاشا لهم أن يطلبوا ذلك، لم يطلبوا، ولم يستسلموا.

إن الخنوع والاستسلام والرضوخ مفاهيم غير واردة في قاموس أهل البيت وأهل

الحق.

تبجح الجبناء

أراد الحسين أن يكون شامخاً وقويًا وأراد أصحاب يزيد أن يذلوا الحسين ومن معه ويخضعوه.

كانت معركة معنوية بجانب المعركة العسكرية التي خاضوها، القضية أخذت أبعاد التشفي والأحقاد النفسية. كيف تُفسرون خروج عمر بن سعد وهو قائد العسكر أمام الآخرين ليقول "اشهدوا لي عند الأمير إنِّي أول من رمى" ويرمي بسهمه نحو الحسين؟!

ليست هذه معركة متكافئة بين جيشين، بضعة عشرات ونساءً وأطفالاً في خيام، أخذ الظمأ والعطش والجوع منهم مأخذة، وهنا عشرات الألوف يأكلون ويشربون ومدججون بالسلاح، هذه ليست معركة متكافئة لتخرج وتتبعجج "إنِّي أول من رمى"، هذا تشفٍ، حالة حقدٍ، حالة خسةٍ، ودناءةٍ، حقارةٍ همجيةٍ... ولكن هذا كان سلوكهم.

حرص الضحية

كان أصحاب الحسين في سجلاتهم وخطاباتهم، وحواراتهم مع أولئك القوم يقولون لهم: إن هذا ابن بنت رسول الله ﷺ، وليس في هذه المعمورة والدنيا ابن بنت نبي فينا أو في غيرنا غيره، ليس هناك أحد عنده عنوان ابن بنت النبي غير الحسين، هذه خصوصيته، وإنه رجل مميز، وأنتم تعرفون ذلك، ويزيد يقبل منكم في طاعته بدون قتل الحسين، فاذا ذهبتُم إلى يزيد بدون قتل الحسين سيقبل منكم الطاعة، ولكنهم أصرُّوا على قتل الحسين، على أن يقتلوه ويتشفوا وأن يعبروا عن حقدهم الدفين بهذه الطريقة غير الإنسانية التي لا يمكن أن تخضع لأي موازين أو أي اعتبارات تخص الحروب والقتال، والفروسية.

شموخُ القائد

أراد الحسينُ أن يجهب مؤامرتهم، فكان يوصي أهل بيته وأصحابه والنساء والأطفال بالصبر والثبات والصمود، فاذا كان لا بدَّ من هزيمة عسكرية على مستوى يوميات الحدث والقتال وأن يسقطوا شهداء فلتنكح المعركة انتصاراً معنوياً، أراد أن ينتصرَ عليهم في الجانب المعنوي، وهذا ما تحقَّق بأجلى صورة.

ينقل لنا أحد الرواة في السير والمقاتل ما جرى فيصف الحالة المعنوية للقائد قائلاً: (والله ما رأيت مكسوراً قد قتل ولده وأهل بيته أربط جأشاً ولا اقوى جناناً من الحسين^(١)) هكذا كان الحسين، وأهل بيته، أهل بيته وأصحابه مجزؤون كالأضاحي، يُقتلون الواحد تلو الآخر من الأطفال والكبار الشيوخ ولكنه كان اربط جاشاً، كان يتمتع بأعلى درجات رباطة الجأش، والقوة وتماسك الأعصاب، هذه كانت سمة مهمة للحسين^{عليه السلام}.

ثباتُ الأنصار

رباطة الجأش سمةٌ لأصحاب الحسين أيضاً، لاحظوا كيف وصف الشاعر - أظنه ابن العرندس الحلبي - أحوالهم حين يقول:

قومٌ إذا نودوا لدفعِ مُلَمَّةٍ والخيلُ بينَ مدعسٍ، ومكردسٍ
لبسوا القلوبَ على الدرِّوعِ، وهَرولوا يتهافَتونَ على ذهابِ الأنفُسِ

(١) ينظر: المهوف على قتلى الطفوف: ١٧٠ .

لبسوا القلوب على الدروع

الإنسان يلبس الدرع ليحمي القلب. أما أصحاب الحُسين لبسوا القلوب على الدروع فأصبح القلب يحمي الدرع وليس العكس

يتهافتون على ذهاب الأنفس

هؤلاء يتهافتون ويتسابقون ويتقدم بعضهم على الآخر في التضحية بالنفس، والشهادة في سبيل الله، وأن يقتل من أجل هذا الهدف السامي والقضية الحقّة. شيء مثير ومدهش، كيف يكون الإنسان في موضع يواجه كل هذا الحصار ويواجه كل هذه الضغوط النفسية ومع ذلك يتسابق إلى الموت، ويبقى قوياً عزيزاً منيعاً متمسكاً لا تأخذه في الله لومة لائم؟ كانوا يصرون ويلحون بينهم على أن يتقدم البعض على البعض الآخر، يريد أن يسبق الآخر ليذهب ويقاوم دون الحُسين، ويدافع عن مبادئه، عن الحق، ويستشهد ويتقدم على أخيه الآخر ولو يبضع دقائق

نساء التغيير

هذا الأعداد أيضاً تركز في أحد جوانبه المهمة على النساء وهنّ الطرف الضعيف في القضية، و لم تكن النساء نساء عاديات، بل كن نسوة منكوبات، فهذه ستفقد زوجها، والأخرى تفقد ابا، وتلك تفقد ابنا، وهذه وتلك تفقد اخا، إلى آخره، هؤلاء سيفقدن الكثير، قد تكون تعيش حالة من الانكسار الداخلي، ولكنه يجب أن لا يظهر هذا الانكسار عليهنّ، وأن لا يتخذنّ موقفاً ضعيفاً؛ لأنّ الحُسين أراد أن ينتصر في معركة العزّة والكرامة والقوة المعنوية، وأراد أن يكون هو المنتصر، ويحبط مؤامرة عمر بن سعد وجيوشه وأمرائه الذين يصرون له التعليمات وينفذون الأوامر؛ لكسر إرادة أولئك النسوة بعد مقتله واستشهاده.

التاريخ يحدثنا: إنّ النجاح الباهر الذي حققه الحُسين وأصحابه من الرجال

في ساحة المعركة في الصراع المعنوي حققته النسوة بعد استشهاد الحسين أيضاً، وبقين بحالة مبهرة من التماسك والقوة والجلادة والشموخ الذي ادّهش العالم، وأدّهش الجميع، وفوّت الفرصة على الأعداء في إخضاع حرائر بيت النبوة وبيت الرسالة وكسر إرادتهنّ وعزيمتهنّ.

حزن لا انكسار

طبعاً لا بدّ أنّ تُفرّق بين الحزن وبين الضعف والهزيمة والانكسار، والفرق واضح .

الحزن واظهاره وتجييش المشاعر واستدرار الدمعة ظاهرة إنسانية، وهي من الأخلاق الكريمة، و تعد من عناصر قوة الإنسان بأنّ تكون له مشاعر وقلب ينبض ويتحسس الآلام و يستشعره ، هذه قوة وليست ضعفاً في الإنسان.

الحزن شيء طبيعي وحالة إنسانية والإنسان السوي يجب أنّ يكون بمشاعر وقلب واحاسيس، وأنّ يتحسس الألم ويتفاعل معه، ولكنّ المذموم هو حالة الضعف والهزيمة والانكسار أمام الآخر.

الحزن كان سمةً حاضرةً في الحسين عليه السلام، وأصحابه، ونسائه، واطفاله؛ لأنّهم كانوا اناساً في قمة المشاعر النبيلة، وفي قمة العواطف الصادقة، فكيف يصادفون هذه المصائب الكبرى ولا يحزنون ولا يذرفون الدموع؟! ولكنّ الانكسار والهزيمة فلا، وألف لا.

إنّ القلب ليحزن

إنّ حالة الحزن نجدها في رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً، فالروايات والنصوص تخبرنا عن بكاء النبي صلى الله عليه وآله في مواضع عديدة ، فحينما فقد ابنه ابراهيم قد بكى وحزن عليه وقال مقولته الشهيرة (تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يُسخط الربّ ، وإنّا بك يا ابراهيم لمحزونون) العين تدمع والقلب يحزن ولكن لا نقول ما

يسخط الرب، لا ننكسر، لا نتجاوز، لا نتناول، لا نأتي بالموقف البعيد عن الثواب والأطر الصحيحة، أما الحزن فمشروع. وحينما هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة كانت مكة وطنه والمدينة التي ولد فيها وعاش فيها كل هذا العمر الطويل ٥٢ سنة عاشها في مكة، وهو الآن يريد أن يهاجر، شق عليه ذلك وقال:

(ما تركناك طوعا، القلب يحن إليك يا مكة) ولكن الظروف تتطلب أن نهاجر ونغادر. البكاء على فراق الوطن كذلك يخبرنا التاريخ أن رسول الله بكى عند عودته من أحد حينما عاد بعد تلك الانتكاسة التي أصابت المسلمين في معركة أحد وسقط شهداء أفاضل كبار كحمزة أسد الله هذا الرجل العظيم

دعاء للدموع

كذلك في ادعيتنا المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام نتعوذ من عين لا تدمع ومن قلب لا يخشع.

إذا العين الباكية والقلب الخاشع حالة إنسانية راقية متكاملة، ولا بد أن يكون الإنسان على هذا النحو.

فرق كبير بين اظهار الحزن واظهار العجز والانكسار ، والضعف ، والهزيمة، فالأول امر مطلوب والآخر مذموم.

اللهم تقبل منا هذا القربان

لاحظوا قوة وعزة النساء بعد استشهاد الحسين عليه السلام، وهن أسيرات ليس لهن ناصر أو مدافع. وكما تعرفون أن الرجال استشهدوا كلهم وكما يخبرنا التاريخ لم يبقَ من الرجال إلا رجلين علي بن الحسين السجاد عليه السلام وكان من الضعف ومن المرض بمستوى اعتقدوا أنه يحتضر فلم يقتلوه، ولعل الله سبحانه وتعالى أراد أن يحفظه من خلال المرض، والرجل الثاني الذي بقي على قيد الحياة هو الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن الإمام المجتبي، والذي اثنى بالجراح في ساحة

المعركة ويبدو أنه أغمي عليه فتوقفوا أنه استشهد فتركوه، ولكن بعد ذلك استفاق بعد انتهاء المعركة.

وكان شعار الجيش الأموي (لا تبقوا لأهل هذا البيت باقية) لا تبقوا أحداً من الرجال، اقتلوهم باجمعهم، وشاء يزيد بن معاوية وعبيد الله بن وبياد وعمر بن سعد أن لا يبقوا لأهل بيت النبوة والرسالة باقية، وشاء الله سبحانه وتعالى أن يكون لهم هذا الأثر الكبير، للهاشميين، لذراري رسول الله ﷺ - (إنّا اعطيناك الكوثر)، الخير الكثير في الزهراء البتول ونسلها، والآخر هو الأبر، يا رسول الله سنجعل الخير الكثير من خلال ابنتك فاطمة، واليوم نجد أن عشرات الملايين من المسلمين هم من ذراري رسول الله ﷺ منتشرون في كل أصقاع الأرض، أينما ذهبنا وجدنا الهاشميين، أبناء رسول الله ؛ الذين ينتمون إليه بالنسب، وكلّم أبناء رسول الله ﷺ بحمل الرسالة وتحمل أعباء المسؤولية.

على كل حال لو تركنا هذين الرجلين فما تبقى كلهن نساء، وكان لأولئك النسوة الدور العظيم في تثبيت هذه القوة، والعزة والكرامة الحسينية من خلال مواقفهن. وبعد أن دُفنت الأجساد الخبيثة لجماعة عمر بن سعد تركوا جسد الحسين عليه السلام، وأجساد اصحابه وأهل بيته مجزّرين كالأضاحي على صعيد الأرض، وجاءوا ليأخذوا النساء إلى الكوفة في إطار عملية الإخضاع والأذلال والإرکاع، في إطار عملية الهيمنة المعنوية على تلك النسوة.

أرادوا أن يمرّوا بهنّ على الأجساد - على أجساد الضحايا - في طريق الذهاب إلى الكوفة، حتى ترى هذه ابنتها وتلك أخاها أو أباه؛ لينكسرن وينهزم من نفسياً، وتنتهي العملية، ولكن الموقف كان مختلفاً، جئن إلى تلك الأجساد تتقدّمهنّ الحوراء زينب بنت علي عليه السلام، وكان عند النسوة توجهات بضرورة اتباع السيدة زينب عليها السلام. جاءت زينب تبحث عن جسد الحسين عليه السلام بين الأجساد، وجدته بين تلك

الأجساد الطاهرة مغطى بالسهم والسيوف والنبال والحجارة، نفضت عن جسده الطاهر غبار المعركة، وأبعدت كل تلك السيوف والحجارة والرماح عنه، كان جسد الحسين مقطّع الأشلاء، وضعت يدها تحت ذلك الجسد الطاهر ونادت بصوت عال:

(اللهم تقبل منا هذا القربان ... اللهم تقبل منا هذا القربان).

ما رأيت إلا جميلاً

عندما شاهدت النسوة أداء زينب تعاملن مع أبنائهن وأزواجهن بالطريقة نفسها، فكان الموقف مدهشاً لأولئك الأعداء، أجهض ذلك المشروع والمؤامرة، وظهرت زينب وظهرن النسوة مع زينب بالقوة الحسينية والعزة الحسينية التي يتصاغر أمامها الجبال والكبار.

كانت زينب تعرف من هو الحسين؛ لأنه كان يمثل كل شيء لزينب، فهو امتداد لأبيها أمير المؤمنين وهو البقية الباقية، كانت تلوذ به، هذا موقع الحسين عندها، ولكنها تقف لتقول: (اللهم تقبل منا هذا القربان)

ماذا تريد أن تقول بهذه الكلمة؟

وكأنها تريد أن تقول أيها العالم، أيها الإنسان، أيها التاريخ، يا من يسمع، ويتلقى هذا النداء في يوم من الأيام، اعلمو أننا لم نجبر على هذا الموقف، بل نحن اخترناه بملء إرادتنا، جئنا لتلاقي حتوفنا دفاعاً عن الحق، دفاعاً عن حياة هذه الإنسانية المعذبة، دفاعاً عن المبادئ والقيم الإنسانية كلها، إننا قدمنا الحسين في طريق الحق من أجل الله سبحانه وتعالى، يا ربنا تقبل منا هذا القربان، خذ حتى ترضى، فكل شيء يقدم من أجلك يا ربنا، نحن نقدم كل تضحياتنا، ونعطي كل شيء من أجل السماء ومن أجل الله، ومن أجل القيم والمثل.

وفي موقع آخر حينما وصلت زينب إلى الكوفة أراد عبيد الله بن يزيد تقيعها

فسألها:

كيف رأيت صنع الله بأخيك الحسين؟ كأنه يريد أن يهزمها، إنها المعركة نفسها والمحاولات ذاتها.

ماذا أجابته زينب عليها السلام؟

(والله ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء رجال كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم) الله قدر لهم ذلك، وهم استجابوا ولَبَّوا نداء الله، وذهبوا، وقدموا واستشهدوا (ما رأيت إلا جميلاً) فأَيُّ شيء أجمل من الانصياع لإرادة الله، والانسجام مع مشروع السماء، هؤلاء قدموا وضحوا، ولا يوجد أجمل من هذا الموقف، فبرزت زينب بقوة، وكرامة، وعزة حُسَيْنِيَّة من جديد.

ولو أردنا أن نستقرئ في هذه المواقف، القوة الحُسَيْنِيَّة، لوجدناها صفة ملازمة لكل مراحل الثورة وفصولها. تعرفون أن عبيد الله بن زياد وبتوجيه من يزيد بن معاوية قد قطع الطريق إلى كربلاء لكي لا يصل الإمام عليه السلام إلى الكوفة، وأن لا تقع المعركة فيها، فلماذا صنع ذلك؟ كان الغرض من ذلك هو التعتيم، فكربلاء صحراء قاحلة آنذاك تجري المعركة فيها ويقتل هؤلاء فيُقَال عنهم خوارج، وينتهي كل شيء، وحتى أجسادهم تأكلها الحيوانات المفترسة أو تغطّيها العواصف الرملية وينتهي كل شيء، ويبقى يزيد، والحكم البيزدي شامخاً كما يزعمون، فالهدف من قطع الطريق على الحسين عليه السلام هو إخفاء الجريمة، وتزوير الحقيقة وإظهارهم بصورة الخوارج، وكانوا أناساً متشددين متعجرفين مغرر بهم، طُبِعَ على قلوبهم شيء لا يقبلون غيره ^(١) كانت الخطة البيزيدية تقضي بقتل الحسين في الصحراء،

(١) يبدو من كلام أمير المؤمنين (ع) أن الخوارج لم تكن نواياهم سيئة، ولكنهم قد عُرِّبَ بهم وفهموا الباطل على أنه حقيقة، لذلك يقول (ع): (لا تقالتوا الخوارج من بعدي! فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه) هؤلاء طلبوا الحق فأخطأوه، مثلهم مثل بعض المتشددین في زماننا، حين تسألهم "ماذا

وجلب الرؤوس، ووصفهم بالخوارج، والناس تكره الخوارج فيمحي ذكرهم.

والله لا تمحو ذكرنا

كانت هناك مؤامرة لمحو الذكر؛ حتى لا يبقى لهؤلاء باقية وذكر، ولا يُسمع عنهم شيء، فتنتهي العملية.

هنا تظهر العزة الزينية، العزة الحسينية، فوت الحوراء الفرصة على نجاح هذه المؤامرة، جاءت إلى الكوفة، والناس تدق الطبول وتهلّل فرحاً، هؤلاء خوارج!!! وقفت الحوراء وخطبت خطبتها الشهيرة، قلبت الميمنة على الميسرة، أي خوارج؟! هؤلاء أولاد رسول الله، أولاد علي بن أبي طالب؛ الذي كان الخليفة في الكوفة، وعاش فيها سنوات كانوا يعرفونه جيداً، لم يمض على استشهاد أمير المؤمنين إلا عشرين عاماً، كبار السن ومتوسطوه يعرفون علياً، ومنطق علي، أي صلة تربط كل ذلك بالخوارج!!! فكشفت الحقيقة، وفضحت المؤامرة.

وأينعت الجراح

واستمرّ الركب يؤدي دوره، وكانت السلطة مجبورة على نقلهم بطرق تمرّ بالمدن، والقرى وتحاشت نقلهم في قلب الصحراء؛ للإمعان في التشفي، وإشاعة حالة الرعب ولصعوبة توفير الماء والطعام تضاف إليه مشكلة الأمن، فكانت القوافل تختار طرق المدن والقرى والأماكن المأهولة وهذا ما اعطى الحوراء زينب فرصة للتعريف بظلامة سيّد الشهداء وقضية الحسين في كل مدينة وقرية نزلوا

تفجّر نفسك في جموع الأبرياء أو بيوت العبادة؟ يقول: أريد التقرب لله، أريد اقتراب إلى رسول الله وأن أدخل الجنة، بأن أفجر نفسي واقطع اشلاء الأبرياء أي سعادة، وأي عبادة في قتل الأبرياء من الناس، وفي استهدافهم!!! ركب في عقله هذا المفهوم الإجرامي الظلامي فلا يقبل غيره، وكانت هذه هي سمة الخوارج فكانوا أناساً منبوذين ممنوجين لا أحد يحبهم، ينظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٩٨/٥.

بها في الطريق وصولاً إلى الشام، وتعرف الناس على الحقيقة فانقلب السحر على الساحر، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر/٤٣) حتى زوجة يزيد بن معاوية خرجت معترضة، تتحدث، وتقرع بيزيد، فما بالك بعموم الناس؟

الأجواء اختلفت، أراد يزيد أن يمحو ذكر الحسين فتحوّلت القضية إلى قضية كبيرة وضعته في موقف يحاول فيه التنصّل من مسؤوليته ليرمي الكرة في ملعب عبید الله بن زياد، والأخير رماها بدوره في ملعب عمر بن سعد، كلهم يريد أن يتصل من الموضوع، فاضطروا إلى إعادة سبايا النبي بطريقة محترمة.

استطاعت السيدة زينب من خلال منطلق القوة والعزة والكرامة الحسينية أن تجهض ذلك المشروع.

دم في السماء

في هذه الليلة نستذكر عبد الله الرضيع، هذا الطفل الرضيع؛ الذي أصبح من أبطال واقعة الطف مكملاً للصورة الإنسانية لمشهد عاشوراء، ماذا نقول فيه سوى ما قاله صاحب العصر، والزمان الحجة من آل محمد (عجل الله فرجه) في زيارة الناحية المقدسة: (السلام على عبد الله الرضيع المرمي الصريع المتشطح دماً، والمصعد بدمه إلى السماء)

حينما قتل عبد الله الرضيع أخذ الإمام الحسين عليه السلام بشيء من دمه ورمى به نحو السماء فلم يسقط منه قطرة، كما يروى عن الإمام أبي جعفر الباقر صلوات الله عليه، وهو ما يؤكده الإمام الحجة (عجل الله فرجه) في زيارة الناحية المقدسة: (المدبوح بالسهم في حجر أبيه).

طفل رضيع في حجر أبيه يتضوع ألماً من العطش أخذة الحسين، ووضعه في

حَجْرِهِ ، وَإِذَا بَحْرَمَلَةَ بِنِ كَاهِلِ الْأَسَدِيِّ يَرْمِيهِ بِسَهْمٍ فِي رَقَبَتِهِ ^(١) ، فَيَسْقُطُ شَهِيداً
 بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الإِجْرَامِيَّةِ وَالْإِمَامُ الْحُجَّةُ الْمُنْتَظَرُ (عَجَّلَ اللَّهُ فَرَجَهُ) يَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ .
 هَذِهِ الْجَرَائِمُ الْبَشَعَةُ ، وَالصُّورُ الْمَرْوَعَةُ تُعْطِينَا صُورَةً مُتَكَامِلَةً عَنْ مِصْدَاقِيَّةِ
 الْحُسَيْنِ ، وَظُلَامَتِهِ ، وَخَسَّةِ وَدَنَاءَةِ الْمَشْرُوعِ الْآخِرِ ، مَشْرُوعِ الْإِنْتِهَازِيَّةِ ، وَالْمِصَالِحِ
 الْخَاصَّةِ ؛ الَّتِي تَتَجَاوَزُ كُلَّ الثَّوَابِ ، وَتَذْبِحُ كُلَّ الْقِيَمِ مِنْ أَجْلِ مِصَالِحِهَا الْمَحْدُودَةِ ،
 وَمِنْ أَجْلِ الْحِفَاطِ عَلَى سُلْطَةِ ، وَمَوْقِعِ ، وَنَفُوذِ ، وَمَالِ زَائِلِ .
 نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنا حُسَيْنِيِّينَ ، وَمَمَّنْ يَسِيرُ عَلَى نَهْجِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .
 أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي ، وَلَكُمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

(١) ينظر: المعوف على قتلى الطفوف : ١٦٩ .

دولة عادلة
لمواطنين أحرار



دولة عادلة لمواطني أحرار

المحاضرة

المناسبة: مراسم عزاء يوم تاسوعاء

المكان: مكتب سماحة السيد الحكيم

الزمان: ١٦-١٢-٢٠١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا، ونبينا
سيد الأنبياء، والمرسلين حبيب إله العالمين؛ أبي القاسم المصطفى
محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين
الميامين.

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله،
السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، وأناخت برحلك.
عليك منا جميعاً سلام الله أبداً ما بقينا وبقي الليل، والنهار، ولا
جعله الله آخر العهد منا لزيارتكم.

السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد
الحسين، وعلى أصحاب الحسين؛ الذين بذلوا مهجهم دون الحسين
عليه السلام.

السلام عليكم أيها الحسينيون أيها المؤمنون؛ -إخوة وأخوات-
ورحمة الله وبركاته

في هذا اليوم الشريف، التاسع من شهر محرم الحرام تجتمع هذه الحشود الكبيرة هذه المواكب الحسينية في قلب بغداد الحبيبة في جامع الخلائي، كما هو في كل عام؛ لتجدد بيعتها، وتعمد عزيمتها، وتعمق حبها وولاءها لسيد الشهداء الإمام الحسين (صلواتُ الله وسلامه عليه).

بين رسالتين

أيها الأحبة:

إنها محطة نقف فيها في كل عام؛ لنعقد العهد، ونجدد البيعة بأن نسير قدماً مع الحسين، وعلى نهج الحسين وفكره وعلى منطقته.

نقف في اليوم التاسع من محرم؛ لنستذكر الدروس، والعبر؛ التي أرساها الحسين عليه السلام في حركته وفي ثورته الخالدة.

ما إن تنتهي السنة الهجرية بشهر ذي الحجة الحرام حيث الحج - الشعيرة الإسلامية الكبرى - حتى يطل علينا شهر محرم الحرام في مطلع سنة هجرية جديدة أخرى، رسالة الحج ورسالة ذي الحجة الحرام، والرسالة التي يسجلها الإنسان في نهاية كل عام هجري هي رسالة التلبية (لبيك اللهم لبيك) إنها رسالة التلبية، والانفتاح على الله، والانصياع لرسالة السماء، رسالة الطاعة لله (جل، وعلا) في بناء الإنسان، والحياة على أسس العدل والعزة والكرامة.

وفي مطلع كل عام هجري في محرم الحرام، نستذكر الحسين عليه السلام.

ورسالة الحسين هي رسالة الحج، وهي رسالة المشروع الإلهي، رسالة الإصلاح، والتي خرج من أجلها الحسين، وضحى بكل وجوده، وبأهل بيته، وبأصحابه؛ لإرساء مقاييس العدل، والإنصاف في هذه الأمة.

رسالة نهاية السنة الهجرية، ورسالة بداية سنة أخرى رسالة الحج، ورسالة الحسين هي رسالة الإصلاح، وبناء المجتمع الصالح، والإنسان الكامل المتوجه نحو الله سبحانه وتعالى.

ثائر العدالة

إِنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَفَ؛ ليرفعَ شعارَ الإنصافِ، والعدالةِ بوجهِ أولئك الظالمين، والمنحرفين في الحكم، أولئك الذين فرطوا، وميّروا الناسَ على طبقات، أراد الحسينُ أَنْ يقفَ بوجهِ المشروعِ المصلحي والانتهازي للحكم اليزيدي، فكانت رسالته رسالةُ الصلاحِ والإصلاحِ، وهي رسالتنا اليومَ أَنْ نقفَ على مائدةِ الحسينِ؛ لنستذكرَ الصلاحَ ونُشيعَ الإصلاحَ في بناءِ تجربتنا وواقعنا.

إِنَّ الناسَ يدخلون شهرَ محرّمٍ على صنفين؛ فمنهم مَنْ يدخلُ محرّمَ من نهجِ حُسَيْنِيٍّ نهجِ نبويٍّ علويٍّ حُسَيْنِيٍّ نهجِ الصلاحِ، والإصلاحِ. وهناك مَنْ يدخلُ محرّمَ بالنهجِ اليزيدي؛ نهجِ المصالحِ الخاصةِ الفئويّةِ، والحزبيةِ نهجِ الانتهازية، ولا بدُّ لنا أَنْ نختارَ - ولن نختارَ - طريقَ الحسينِ، ونهجَ الحسينِ، وفكرَ الحسينِ.

رائدُ مسيرةِ الحاضرِ

إِنَّ عاشوراءَ ليست حدثاً تاريخياً نعبّرُ عليه ونستذكرُه في ما تطرق من شؤوننا الحياتيةِ.

إِنَّ عاشوراءَ هي واقعٌ حياتيٌّ نعيشه في يومياتِ حياتنا، كنهجِ دجلةِ الذي نعيشُ على ضفافه، اليومَ هو معلّمٌ مهمٌّ، وركنٌ أساسيٌّ من أركانِ الحياةِ في هذه المدينةِ العامرةِ.

ليس الحسينُ تاريخاً فحسب، إنّما هو حقيقةٌ حياتيةٌ نعيشها اليومَ في يومياتنا، وواقعنا. ولا بدُّ أَنْ نكونَ حُسَيْنِيّين، وَأَنْ ننظرَ بعينِ حُسَيْنِيّةٍ، ونسمعَ بأذنِ حُسَيْنِيّةٍ، ونتحدّثَ بلسانِ حُسَيْنِيٍّ، ونفكرَ بطريقةِ حُسَيْنِيّةٍ.

نشيد الإنسانية

أيها الأعداء :

إن رسالة الحسين عليه السلام تجاوزت الإطار المذهبي الخاص، بل تجاوزت الإطار الإسلامي الخاص بها، وأصبحت رسالة إنسانية؛ لأن هدف الحسين وغاياته إنما تعم الإنسانية كلها، ولا تخص طائفة، ولا ديانة، ولا قومية، ولا فئة دون أخرى. رسالة الحسين للإنسانية رسالة الحياة، وأهدافه أهداف الإنسان، ولا بد أن ننظر إليها بهذا الإطار الواسع.

حكمة العقل ورقة العاطفة

إن مشروع الحسين عليه السلام هو مشروع بناء الإنسان، وبناء الحياة على أساس الحق، والعدل والإنصاف، فالحسين عليه السلام لا يمثل نداءً عاطفياً صرفاً كما لا يمثل نداءً عقلانياً صرفاً، العقل بمفرده، أو العاطفة بمفردها لا يمكن أن تعطي الحسين حقه، ولا يمكن لها بمفردها أن تعبئ الأمة خلف الحسين ونهجه، ومشروعه عليه السلام. العاطفة والعقل لا بد أن يجتمعا معا حتى تظهر حقيقة الحسين، ويستثمر دم الحسين عليه السلام في بناء الإنسان، وفي بناء الحياة، وفي تعبئة الأمة، وجعل الحسين ومشروعه مشروعاً للأمة كلها.

ثورة، وسلوك

إن الحسين عليه السلام مثل ثورة إنسانية كبرى، والثورة إنما تعني الكمال في السلوك والأداء والعدالة في التعامل مع المجتمع، العدالة الاجتماعية، والكمال السلوكي هي سمات الثورات الحقيقية.

وحينما نتحدث عن الثائر فإننا نتحدث عن ذلك الذي يسعى لتحقيق العدالة وللصلاح والإصلاح، إن الثورة قد تتطلب استخدام السلاح، والقوة في بعض الأحيان كما قام به الإمام الحسين عليه السلام، ولكن الثورة لا تنحصر بوسائل القوة،

واستخدام السلاح وحده، وإنّما الثورة قد تكون بالسلاح أحياناً، وبالكمة أحياناً، وبالسكوت الهادف، والمؤثر أحياناً أخرى، إنّ أغلب أئمتنا الأطهار عليهم السلام لم يحملوا سلاحاً، ولكنهم كانوا نائرين، وكانت فيهم سمات التأثيرين ولم يخضعوا ولم يركعوا للظالمين، وإنّما وقفوا ودافعوا عن نهجهم ضمن الوسائل المتاحة آنذاك.

إنّ الموقف هو الذي يُحدّد حقيقة الثائر عن غيره، الموقف والمشروع والمنهج والخلفية والدوافع التي تدفع الإنسان ليقوم بهذا العمل، أو ذاك هو الذي يشخص أنّ يكون الإنسان ثائراً أو لا يكون.

رفض والتزام

إنّ الثورة تختلف عن العصيان، والتمرد، والذين حاصروا الحسين وصفوه بالتمرد، وقالوا: إنّهُ شقّ عصا المسلمين. وخرج عن الجماعة وإمام زمانه، ولكنّ مقولتهم باطلة.

التمرد هو الخروج على الحكم العادل، والحكم اليزيدي لم يكن عادلاً، والخروج عليه هو الموقف الثائر، وليس الفتنة والتمرد والعصيان - كما يوصفُ به الحسين عليه السلام - بكلّ تأكيد.

الظالم يريد أنّ يخضع الجميع لإرادته، ولا يستطيع إلاّ حينما يسلب الشرعية منهم، أراد يزيد أنّ يسلب شرعية الحسين ونهجه، ومشروع عليه السلام !!! وأنّى له ذلك؟ لا يستطيع أنّ يحقق ذلك.

ظلّ الحسين شامخاً برويته وفكره ونهجه الإصلاحية، وذهب يزيد، ومن على نهجه إلى حيث لا يعلم.

شعارات صادقة

أيها الأعداء:

إن الثورة تعني الشعارات الصادقة، الشعارُ الذي يحتوي مضموناً فكرياً صحيحاً، ويحتوي مدلولاً سياسياً واقعياً وصحيحاً، وما أكثرَ الشعارات التي رُفعت في التاريخ، وبعضها كان يحمل مدلولات فكرية صحيحة، ولكنه لم يكن يحمل المدلولات السياسية الصحيحة، وقف الخوارج بوجه أمير المؤمنين علي عليه السلام ليقولوا (لا حكم إلا لله) كان كلاماً مدلوله الفكري صحيحاً - الحكم لله - ولكن مدلوله السياسي كان مدلولاً خاطئاً، (كلمة حق أريد بها باطل)^(١) أرادوا أن يكفروا علياً عليه السلام، ويزيحوه ويحاصروه من خلال هذا الشعار.

صدقية الشعار في مدلوله الفكري وفي مدلوله السياسي شرط اساس في أي ثورة صادقة.

عشنا نفس المشكلة في عهد الحسين عليه السلام، فما اكثر الشعارات التي رفعت وما اكثر الشعائر التي اقيمت وكان الجميع يصلي ويقوم ويتعبد ولكن شتان بين صلاة وصلاة، عمر بن سعد قائد الجيش الذي قاتل الحسين وواجه الحسين عليه السلام كان يصلي وكان ملتزماً بالصلاة ولكن صلاته كانت لقلقة لسان بلا قيمة، صلاته دفعته أن يصطف مع عبید الله بن زياد ويزيد بن معاوية، والحر بن يزيد الرياحي كان يصلي أيضاً ولكنها صلاة جعلت منه اسطورة وجعلته يصطف مع الحسين عليه السلام جعلته ينحاز إلى الحق ويقف ويدافع عن الحق، فالشعبيرة والشعار الصادق هو الشعار الذي يكون له مدلول حقيقي على المستوى الفكري والسياسي.

(١) شرح نهج البلاغة : ١٧/١٩ .

دعوة وثبات

إِنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رفع شعار الإصلاح وكان واضحاً في هذا الشعار وكان ثابتاً في هذا الشعار ولم تكن له مصالح شخصية أو اسرية أو حزبية أو فئوية من خلال الإصلاح، الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رفع شعار الإصلاح وكان جاداً وصادقاً، وحينما طلب أَنْ يتخلى عن هذا الشعار ويحصل على المكاسب أبى ذلك وقال مقولته الشهيرة (هيهات منا الذلة) (١).

خلودٌ، ونماءٌ

أيها الأعداء إِنَّ عاشوراء هذا العام تنتهي غداً كما انتهت عاشوراء السنة الماضية والسنين التي خلت من قبل، عاشوراء تضي ولكن قضية الْحُسَيْنِ تبقى حيةً في ضمائرنا، قائمةً في وجودنا، مستمرةً في أعماق حركتنا، وسلوكنا وأقوالنا وأفعالنا، وقضية الْحُسَيْنِ لا تنتهي.

دروسٌ، وتطبيقٌ

نحنُ في مثل هذا اليوم كطلاب جامعة يتخرَّج في جامعته، الجامعة تنتهي، ولكن العلم لا ينتهي، والعمل بما تعلَّمه الطالب لا ينتهي، مَنْ يدرس الطبَّ والهندسة ما إِنَّ يتخرَّج حتى يتفرغ لممارسة المهنة.

إِنَّ عاشوراء بحسابِ الزمانِ منتهٍ، ولكنَّ دروس عاشوراء لا تنتهي في وجودنا ومجتمعنا.

منهجُ حكم

إِنَّ شعار الْحُسَيْنِ يمكن أَنْ نلخِّصه بدولةٍ عادلةٍ لمواطنين أحرار.

هذا ما أُراده الْحُسَيْنِ، وهذا ما عمل الْحُسَيْنِ لتحقيقه، في مقابل دولة الامتيازات

(١) ينظر: المهوف على قتلى الطفوف، لابن طاووس: ١٥٦.

والطبقات والمحسوبيات، والوجاهات، والاستغلال للإمكانات التي كانت في متناول المنهج اليزيدي وشتان بين منهج الحسين، وبين منهج يزيد.

إن رسالة الحسين عليه السلام وثورته تدفعنا للدفاع عن حقوق متكافئة لجميع المواطنين بعيداً عن المشاريع الطائفية والعنصرية والسياسية الضيقة والفئوية المحدودة، لا بد أن تكون للمواطنين على اختلاف توجهاتهم وانتماءاتهم فرصاً متكافئة، وحظوظاً متساوية في إدارة شؤون بلادهم وفي الخدمات والرفاه، وفي كل شيء، هذه هي رسالة الحسين.

انتماء، والتزام

إن التزامنا بنهج الحسين عليه السلام يدعونا للدفاع عن العدالة الاجتماعية؛ ليعيش الناس عزتهم وكرامتهم، ليعيش الناس كفاف المعيشة وتوافر الخدمات اللائقة بهم؛ ليعيش الناس الفوارق الطبقيّة المتضائلة والقليلة وصولاً إلى اليوم الذي نعيش فيه متقاربين في ظروفنا وسياقاتنا وردم الفجوة بين المسؤولين، وبين عموم المواطنين وهذه هي رسائل الحسين عليه السلام.

إن المواقع والامتيازات والمنافع؛ التي يحصل عليها هذا المسؤول أو ذاك يجب أن لا تجعلهم يبتعدون عن هموم الأمة ومحنتها، وأن يهبوا لحل مشاكل الناس والاهتمام بقضاياهم،

كونوا أحراراً

إن علينا أن نصون الحرية فرسالة الحسين عليه السلام هي رسالة العزة والكرامة والحرية، الحرية في العقيدة وفي التوجهات السياسية، وفي التعبير عن الرأي، وفي تداول المعلومة، وفي النقد للواقع وتقييمه، ولكن النقد الحريص المشفق، النقد الذي يساعد على البناء، وليس الهدم والتخريب، وصولاً إلى الحريات الشخصية في إطار القانون والدستور بما ينسجم مع قيمنا العربية، والإسلامية النبيلة، بما يمثل حصانةً ومناعةً لمجتمعنا أمام الأخطاء والأخطار.

وحدة، ووثام

إنّ الوثام الوطني والأخوة والمحبة والإيثار والمثابرة إنّما هي مهمة لتحقيق النجاح في أي عمل، ولا بدّ من بذل قصارى جهودنا لتحقيق هذه الأجواء وتنقية المناخ الاجتماعي العام في بلادنا وتعزيزها في مجتمعنا العراقي فإننا أهل مهمما اختلفنا في ديانة، أو مذهب، أو قومية أو توجهات سياسية، إنّ الوطنية الحقيقية تكمن في تغليب المصالح العامة على أيّة مصلحة شخصية، أو حزبية، أو فئوية، أو طائفية، أو قومية. الحل يبدأ بنا.

اقتران، واقتضاء

نتفائل خيراً في اقتران تشكيل الحكومة وواقعة الطف، وثورة الحسين، وهذه المدرسة المعطاء برسائلها الكبيرة المؤثرة؛ لبناء الحياة، ونتمنى أن نشهد حكومة تنتهج نهج الحسين نهج رسول الله نهج علي، نهج الصحابة الأطهار، نهج أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام في تحقيق دولة عادلة لمواطنين أحرار.

عهد، واستقامة

سيّدي يا أبا عبد الله إنّنا معك، وعلى نهجك ونسير على طريقك ونستلهم الدروس والعبر منك ومن تضحياتك ودمك الطاهر ومن مشروعك الإصلاحية الكبير الذي يحقّق لنا السعادة والانطلاق الحقيقي والعدالة الاجتماعية والسلام والوثام في مجتمعنا.

إنّنا معك في مشروعك الإنساني، وسنستمر في التضحية بالغالي والنفيس من أجل أن نبني وطننا العراق على هذه الأسس الصحيحة، والقويمة أسس الإنسانية، والإسلام السمح أسس أهل البيت عليهم أفضل الصلاة، والسلام. السلام على شهداء الإسلام، وشهداء العراق، وشهداء الإنسانية، وشهداء العدالة.

تحية، ووسام

السَّلام على شهداء المقابر الجماعية والأنفال، وحبلة، وكل قطرة دم أريقَتْ من أجل المبادئ السامية، السَّلام على المراجع الشهداء، وعلى الشهيدين الصدرين، وشهيد المحراب وعزيز العراق، السَّلام على شهداء الإرهاب الأعمى في كل مكان من مسلمين ومسيحيين وديانات أخرى تحية إجلال وإكبار للمرجعية الدينية وكل من يقف مدافعاً عن العراق، ووثامه وسلامته وأمنه واستقراره وإعمارهِ وبنائه، السَّلام على المجاهدين في سبيل الله في ساحات البناء والإعمار وكل المجالات، تحية إجلال وإكبار لخدمة الحسين، للمواكب الحسينية لكم أيها الحسينيون رجالاً، ونساءً، شيباً وشباباً صغاراً وكباراً هنيئاً لكم ولكل من يساهم في احياء شعائر الحسين نسال الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا حسينيين حقا نفكر بنهج الحسين ونتحدث بلسان الحسين وننظر بعين حسينية نسمع بأذن حسينية لنكون حسينيين حقا في كل سياقات عملنا وبيقى الحسين شامخاً وبيقى نهجه الإصلاحية قوياً ومهيماً؛ لأن الحق يعلو ولا يُعلى عليه اقول قولِي هذا واستغفر الله لي ولكم، والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحتويات

توطئة..... ٥

شباب التغيير

ما وراء اللوحة..... ٩

الشباب إكسير التغيير..... ١١

إشكالية النظرية والتطبيق..... ١٢

واستمر الركب..... ١٣

بين السطور..... ١٤

صافرة الإنذار..... ١٤

مناهج أموية..... ١٥

دكتاتورية الحاكم..... ١٥

الفساد المالي..... ١٦

التميز الطبقي والعنصري..... ١٧

الانحلال الثقافي..... ١٩

لبيك لبيك..... ١٩

فتى يقال له قاسم..... ٢٠

غربة الرسالة

غربة السبب ^{الثالث}..... ٢٣

سمات الغريب..... ٢٤

غريب الوطن ومواطن الاغتراب..... ٢٥

غريب ورث الغربة من أبيه..... ٢٧

وطن الحرية والحقوق..... ٢٨

٣٠..... غربة تأثر ..

٣٠..... هموم حُسَيْنِيَّة ..

٣٠..... زفير الليل ..

٣١..... وترخُّصُ القرابين ..

لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل

٣٥..... كربلاءُ الأُمس ، وبغدادُ اليوم ..

٣٥..... حتمية الصراع ..

٣٦..... ليلُ العاشقين ..

٣٧..... هيهات منَّا الذلَّة ..

٣٧..... صراعُ الإرادات ..

٣٨..... تبجحُ الجبناء ..

٣٨..... حرصُ الضحية ..

٣٩..... شموخُ القائد ..

٣٩..... ثباتُ الأنصار ..

٤٠..... لبسوا القلوب على الدروع ..

٤٠..... يتهافتون على ذهاب الأنفس ..

٤٠..... نساء التغيير ..

٤١..... حزن لا انكسار ..

٤١..... إنَّ القلب ليحزن ..

٤٢..... دعاء للدموع ..

٤٢..... اللهم تقبل منا هذا القربان ..

٤٤..... ما رأيت إلا جميلاً ..

٤٦ واللَّهِ لَا تَمُحُو ذِكْرَنَا

٤٦ وَأَيُّنَعَتِ الْجِرَاحُ

٤٧ دَمٌ فِي السَّمَاءِ

دولة عادلة لمواطني أحرار

٥١ بَيْنَ رِسَالَتَيْنِ

٥٢ ثَأْنُ الْعَدَالَةِ

٥٢ رَأْدُ مَسِيرَةِ الْحَاضِرِ

٥٣ نَشِيدِ الْإِنْسَانِيَةِ

٥٣ حِكْمَةِ الْعَقْلِ وَرِقَّةِ الْعَاطِفَةِ

٥٣ ثَوْرَةٌ، وَسُلُوكٌ

٥٤ رِفْضٌ وَالتَّزَامٌ

٥٥ شَعَارَاتِ صَادِقَةٍ

٥٦ دَعْوَةِ وَثَبَاتٍ

٥٦ خُلُودٌ، وَنَمَاءٌ

٥٦ دُرُوسٌ، وَتَطْبِيقٌ

٥٦ مَنَهْجٌ حَكَمٌ

٥٧ انْتِمَاءٌ، وَالتَّزَامٌ

٥٧ كُونُوا أَحْرَارًا

٥٨ وَحِدَةٌ، وَوَتَّامٌ

٥٨ اقْتِرَانٌ، وَاقْتِضَاءٌ

٥٨ عَهْدٌ، وَاسْتِقَامَةٌ

٥٩ تَحِيَّةٌ، وَوَسَامٌ

